الفائدة الرابعة:

«أَيْـنَ اللهُ؟»

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فقد جاء من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الإمام مسلم(١)، قَالَ: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**».

الحديث فيه فوائد عظيمة أولى هذه الفوائد:

أنَّ الإنسان يراقب نفسه مع غيره، فهذا رجل ضرب جاريته على أمرٍ؛ ربما أنها غفلت عن الغنم فجاء الذئب فأخذ الغنمة، لكن مع ذلك أراد أن يتحلل من هذه الصكة لعله كان ظالمًا لها، أو لعله تجاوز الحد فيها، فذهب إلى النبي ﷺ يستفتيه في ذلك، فأمره النبي ﷺ أن يأتيه بها.

وهذا أيضًا من حكمة النبي ﷺ لم يأمره بعتاقها مباشرة، بل أراد أن يختبرها، هل هي من ذوي العقول التي يرجى نفعها إذا أُعتقت، ويرجى خيرها، وإقبالها على الله عَزَّوَجَلَّ؟

---

(١) برقم (٥٣٧).

فجيء بها إلى النبي ﷺ فسألها سؤالًا يجهله كثيرٌ من المسلمين الآن، قَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**»، وكثير من الناس إذا قلت له أين الله؟ قال: الله في كل مكان، وربما غضب من هذا السؤال!.

والصحيح أن لا غضب، هذا السؤال قد وجهه النبي ﷺ إلى صحابية، وما وجهه إلا لأهميته، فالنبي ﷺ كان يفعل الأمر، أو يسأل عنه تعليمًا لأمته، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ.

ومعنى (**فِي السَّمَاءِ**) في لغة العرب: على السماء.

والدليل على هذا القول، أن الله عَزَّوَجَلَّ يقول لنا: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ} [الملك:١٥]. والذي يمشي في الأرض يمشي داخل الأرض أم فوق الأرض؟! يمشي فوق الأرض، فالمراد {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} أي: على مناكبها.

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أيضًا في شأن فرعون: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه:٢٠]، أي: على جذوع النخل.

* **إذن فمعنى قولنا: (الله في السماء)** أنَّه على السماء، استوى على عرشه، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥]، وكما قال {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف:٥٤]، والاستواء: هو العلو والارتفاع.

والنَّبِيُّ ﷺ، يقول: «**أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(١)، ويقول: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(٢).

النبي ﷺ ليلة أسري به أخبر أنه عرج به إلى السماء إلى مستوى يسمع فيه

---

(١) متفق عليه، البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)، عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

صريف الأقلام(١).

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى:١] ، ونحن نقول في السجود كما قال رسول الله ﷺ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»(٢).

وكم هي الأدلة التي تدل على أن الله عَزَّوَجَلَّ في السماء، أي: على السماء على عرشه، وعرشه سقف الجنة، كما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ يُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»(٣).

فالله عَزَّوَجَلَّ على عرشه تنزه أن يكون في كل مكان؛ لأنه لو كان في كل مكان للزم أن يقع فيه القاذورات، والمستقبحات، وأن يكون في السُّفل، والسفل وصف ذميم، فالله في العلو، قَالَ تَعَالَى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة:٢٥٥].

فله علو القدر، والقهر، وعلو الذات .

وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ في شأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران:٣]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر:١٠]، وقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ} [النحل:٥٠].

فكل هذه الأدلة تدل على أن الله في السماء على عرشه.

ثم قال لها النبي ﷺ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، هذا اختبار بالنبي ﷺ؛ فإنه لا يتم الإيمان إلا بالإقرار لله عَزَّوَجَلَّ بالوحدانية، والإقرار لمحمد ﷺ بالرسالة.

فعند ذلك قال النبي ﷺ «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»، أمره بعتاقها إحسانًا إليها،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣)، عن ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي حَبَّةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) أخرجه مسلم (٧٧٢) من حديث حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

وتكفيرًا لصكتها؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ**»، وفي لفظ «**مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ [مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ]، أَوْ ضَرَبَهُ، فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**»(١).

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**»(٢).

وفي هذا الحديث المجازاة على العمل الصالح، انظر هذه المرأة لما أجابت بهذا الجواب الموافق لشرع الله، ولسنة رسول الله ﷺ، أمر النبي ﷺ بعتاقها.

فعلينا عباد الله أن نسمع الأحاديث النبوية، ونتدبر المعاني الإيمانية التي تدل عليها، ونعتقد ما دلت عليه، نعتقد بأن الله يُرى يوم القيامة يراه المؤمنون، كما قَالَ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:٢٢].

ونعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه مستوٍ بائن من خلقه، ونعتقد أيضًا ما دل عليه الحديث في «الصحيحين» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»، متفق عليه(٣).

فنؤمن بكل شيء أخبرنا الله به، وأخبرنا به رسوله ﷺ ولنبدأ بالعقيدة، العقيدة أمرها مهم؛ لأنه إذا صلحت العقيدة صلح العمل، وإذا فسدت العقيدة فسد العمل.

انظر إلى الرافضة لما فسدت عقائدهم سبوا الصحابة، وكفروهم، وطعنوا

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٥٧) عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا..

(٢) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩).

(٣) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

في زوجة النبي ﷺ، واستحلوا دماء وأعراض الناس، وفعلوا كل منكر لفساد العقيدة؛ لأن الذي عقيدته سليمة يخاف الله، ويراقبه، ويخشاه، ولا يَقْدم على عملٍ إلا على وفق شرع الله، وإن قُدر أنه أخطأ، والخطأ يقع، يتوب إلى الله تعالى، ويبادر بالتوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، أما فاسد العقيدة لا يصلح معه شيءٌ، وبفساد العقيدة فساد الأخلاق، وفساد الأقوال، وفساد المعاملات.

انظر إلى الكفار لَمَّا كانت عقائدهم فاسدة كثر فيهم الزنا، والربا، والظلم، والسرقة، والبطش، إلى غير ذلك من الباطل، فكلما صلحت عقيدتك كلما زاد إيمانك وقربك من الله عَزَّوَجَلَّ، وكلما فسدت عقيدتك كلما ضعف إيمانك وكان بُعدك عن الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي حديث جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، «**فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا**»(١).

أسألك بالله، ماذا يفيدك إذا كنت تصلي أو تصوم أو تحج أو تعتمر وأنت تعلق الحرز أو تأتي الساحر، والكاهن، أو تذهب عند القبر تطلب منه المراد والولد والعون، فلا ينفع صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا شيء من الطاعات، إذا كانت العقيدة فاسدة لا سيما عقيدة التوحيد.

والله المستعان.

(١) أخرجه ابن ماجه (٦١)، والحديث في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.